المستوى النحوي الجزء الرابع

التقديم والتأخير :

للتقديم والتأخير أسرار دلالية وجمالية تؤثر في نفس القارئ أو المتلقي ، ومن دلالات التقديم والتأخير في سورة الكهف ما يأتي :

اولاً – الاختصاص :

قال تعالى ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)) {الكهف ١} إذ تقدم شبه الجملة المتعلق (على عبده) على المفعول به (الكتابَ) إذ من الممكن أن يكون الترتيب (أنزل الكتابَ على عبده)؛ لأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومشركي قريش كانوا على خبر من أمر الرسالة بأنها ستكون ولكن كل كان يطمع أن تكون له دون غيره ، فكان بهذا الترتيب والتخصيص قطع الشك باليقين وخص الرسول ﷺ بالعبودية والرسالة .

بالإضافة إلى ظلال التكريم التي يستشعرها السامع من حرف الجر (على) إذ يمكن استبداله بحرف الجر (إلى) إلا أنه في هذا الحال سيعطي ظلالاً من التكليف . أما (على) ففيه من الرفعة والتكريم للرسول ﷺ .

وكذلك قوله تعالى : ((نحن نقص عليك نبأهم بالحق)) {الكهف ١٣} إذ تقدم المتعلق شبه الجملة (عليك) على المفعول به إذ إن علماء أهل الكتاب كانوا يظنون أنهم يعلمون الحق وغيرهم لا علم لهم فخص الله تعالى بهذا التقديم نبيه ﷺ بالحق دون سواه فضلاً عن أنه أهم بالذكر من بأهم .

وكذلك قوله تعالى : ((حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا)) {الكهف ٩٠} فالأصل (لم نجعل سترا لهم من دونها) فتأخر المفعول به (سترا) وتقدم شبه الجملة عليه (لهم من دونها) ؛ لأن الحال من الشمس بهذا الشكل خاص بهم دون غيرهم من البشر الذين تطلع عليهم . ومثله كذلك قوله تعالى : ((فعل نجعل لك خرجًا)) {الكهف ٩٤} فقدموا الجار والمجرور (لك) على المفعول به (خرجاً) أي يخصوه بالخرج (الأموال والثروات) دون غيره من القادة والجنود لذلك رفض ذو القرنين الإنسان المؤمن هذه الأموال فقال : ((ما مكني فيه ربي خير)) {الكهف ٩٥} .

ثانياً – تقديم السبب على المسبب :

ومن ذلك قوله تعالى : ((فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا)) {الكهف ٦٥} فحاجة الإنسان إلى الرحمة من الله تعالى أولاً ومن ثم تتجلى آثارها على العبد رحمة وعلماً ويقيناً . والرحمة أساس كل نعمة ومنها هبة العلم وتمكينه . قال تعالى : ((الرحمن علم القرآن))[الرحمن ١].

ثالثاً – التغليب :

قال تعالى : ((واذكر ربك إذا نسيت)) {الكهف٢٤} فالأصل (إذا نسيت فاذكر ربك) أي تأتي أولاً أداة الشرط ثم جملة الشرط ثم جملة جواب الشرط ، ولكن هنا تقدم جواب الشرط (واذكر ربك) على أداة الشرط (إذا) وجملة الشرط (نسيت) ، ولكن المتوقع من المؤمن أن يكون الذكر لله تعالى هو الأصل والحالة الغالبة وأما النسيان فهو حالة طارئة .

رابعاً- التقدم المعنوي :

ومن ذلك التقدم الزمني في قوله تعالى : ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم)) {الكهف ٥١} فخلق السماوات والأرض سابق لخلق الإنسان فقد هيأ الله تعالى المكان والأسباب لمعيشة الإنسان ومن ثم أوجده فيه .

وفي قوله تعالى : ((لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا)) {الكهف ١٨} يلحظ أن فيها تصويرًا نفسياً فقد تقدم سلوك (الفرار) على الباعث الداخلي (الرعب) ؛ وذلك لحكمة من الله تعالى فالحماية كانت في أكثر من صعيد ومن مناح متعددة ، ولذا فالذي ينظر إليهم ويلمح هول المفاجأة فإنه يبادر في الحركة والفرار قبل أن يفكر في شيء ، فلو انتظر وفكر لربما تنكشف له الحقيقة، وحتى لا يعود إليهم يمتلئ قلبه منهم رعباً فلا يعود يفكر بالعودة إليهم مرة أخرى .